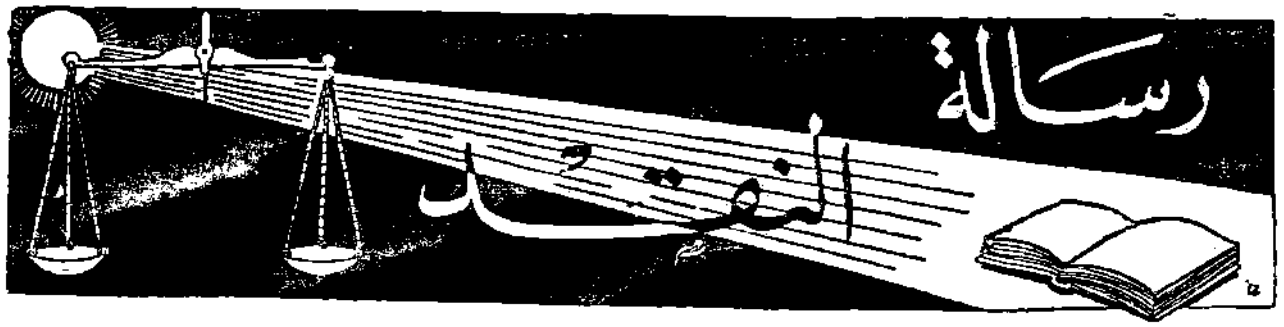

فصل المقال

فيما دار من نقاشه حول « مباحث عربية »

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

أخذنا في نقدنا لكتاب « مباحث عربية » أن مؤلفه في بحثه عن « المسلمين في فنلندة » ، وقف عند مجرد الأقوال التي سمعها ، ولم يتعدها إلى التحقيق . والحق أن هذا البحث لا يتعدى كونه استطلاعاً صحفياً ، ومن هنا جاء ما فيه من الضعف . فالدكتور بشر يرى أن المسلمين الذين اكتشف وجودهم في فنلندة أصلهم من « الترك ـ التتر » ، الضاربين أصلاً فيما وراء جبال أورال ، رحلوا إلى فنلندة عقب الثورة الاشتراكية الكبرى في روسيا .

وقد لاحظت أنا أن المسلمين من « الترك ـ التتر » ينتشرون في شمال وشرق أوربا بكثرة . فمنهم جموع في لابلاند وفي فنلندة وفي استونيا وفي ليتونيا وفي بولندة ... وقد تحدث عنهم المستشرقون الروس والبولنديون كثيراً — خصوصاً اليهود من الأخيرين — وكان من الروس المستشرق بارتولد ، وهو من شيوخ الاستشراق في أوربا ؛ فقد كتب بحثاً نفسياً عن «الأتراك في أوربا الشمالية» تجده في مجلة الشرق الجديدة الروسية م ٨ ج ٤ ص ٣١١ ـ ٣٣٦ كذلك كتب بحثاً قيماً الأستاذ فيسفولد كزميرسكي ، وهو من أعلام الاستشراق في روسيا الآن في نفس المرجع . م ١٠ ج ٢ ص ١٠١ ـ ١٤٠ وهو عن « بقايا جموع التتر القديمة في دويلات البلطيق » واعتماداً على هذه المعرفة نظرت في المراجع التركية التي تحت يدي ، فوجدت أن جموعاً من الأتراك المسلمين ، رحلوا إلى الشمال في القرن السادس عشر ، واستمروا في بلاد الفنوا (فنلندة) ، ومن هنا جاء تساؤلي : هل تأكد الدكتور بشر فارس من المعلومات التي ألقيت إليه من الأشخاص الذين قابلهم في فنلندة من جمهور « الترك ـ التتر » فيما عن أصلهم ؟

وقد عمد الدكتور بشر إلى المغالطة في رده فقال : إنه اهتدى إلى هؤلاء المسلمين ، وأنهم خبروه بما دون . وأنا وإن كنت لا أحب أن أشجب رواية الدكتور بشر واتهمه في كلامه ، إلا أن الذي أحب أن أقوله: إنهم قد يكونون خبروه أن أصولهم من وراء جبال أورال، وأخطأ هو فهم كلامهم فظن أن هذا يعني أنهم حديثو العهد بفنلندة أتوها بعد الانقلاب السوفيتي من وراء جبال أورال !..

٢ — قال الدكتور بشر : إن بعض هؤلاء الأتراك « التتر » يقيمون بمدينة توركو Turku من أعمال فنلندة . وقد علقت على هذا الكلام في ردي فقلت : « ما صلة اسم هذه المدينة بلفظة ترك » ، لأن المشابهة قوية بين اسم المدينة واسم الأتراك ، مما يدل على أن المدينة اشتق اسمها من جموع الترك ـ التتر ـ

الكلفة يخطه قلمه على نهج نفسه التي تركها على سجيتها تسجل أفكاره بكل بساطة كأن الفن طوع أمره. وقد نفخ في كلماته من روحه فجعل العبارات كأنها قلوب تنبض وتجيش بالحياة والعواطف تشوق القارئ إلى قراءتها فتتسلسل فصولها تحت أعينه كشريط السينما حادثة في إثر أخرى، وتجبره على ألا يلقيها من يده إلا بعد أن ينتهي من قراءتها ... فيرى أن الأستاذ نجيب عرضها بأسلوب الوصاف أو خلقها بريشة الرسام أو كونها بعدسة المصور

وعلى رغم طول القصة تمكن الأستاذ نجيب من السيطرة على أعصابه ووجدانه حتى أخرج عبث الأقدار كما هي الآن محبوكة كما ينبغي فن القصة ... وإذا عرفنا أن هذه أول قصة يكتبها طويلة نغتفر للقاص بعض هنات ومآخذ في القصة ، ولكني أحاسبه على سوء طبعها وحشوها بالغلطات المطبعية وهي تقع في ١٦٠ صفحة من القطع الكبير

وآمل أن تلقى عبث الأقدار من الرواج ما هي أهل له وهي خليقة بالعناية والاعتبار

محمد جمال الدين درويش

التي نزلتها في زمن من الأزمان. فجاء الدكتور بشر في ردّه يغالط ويقول: إن مدينة توركو كانت عاصمة فنلندة في المائة الرابعة عشرة للمسيح، وبذلك ينفي تأثير جماعة الترك الذين نزلوا ربوع بلاد الفنوا في القرن السادس عشر

والمغالطة واضحة، لأننا لم نقل في ردّنا إن هنالك صلة بين نزول الجموع التركية في القرن السادس عشر وبين تسمية المدينة باسم توركو، ذلك أننا نعرف أن المدينة أقدم عهداً من ذلك التاريخ، وإليك الدليل:

قلنا: «ومسألة أخرى في هذا البحث، فالباحث يذكر أن جموع هؤلاء المسلمين الأتراك تنزل العاصمة ثم بمدينتي تميرى وتوركو. وهو لم يذكر لنا شيئاً عن المدينة الثانية، وهل هنالك صلة بين اسمها ولفظة «تورك»

فأين هذه الملاحظة من ردّ صاحبنا القائم على المغالطة والإيهام والتهويل؟

٣ — نعرف من كتب الأثنولوجيا أن الفنلنديين يردّون إلى أصلين: الأول Tarrasians والآخر Karelians وفي الشمال من فنلندة تنزل بعض الجموع الذين يردّون إلى اللاب Lapps وهم قلة ضئيلة في فنلندة اليوم. ونزول النورديين في دويلات البلطيق من القرن الخامس عدل الصفات الاثنولوجية للفينوا الأول. ويجيء بعض الجموع من «الترك — التتر» إلى دويلات البلطيق واستقرارهم فيها، وكان من الموجتين المغوليتين العظيمتين اللتين جرفتا روسيا عام ١٢٣٧ وعام ١٢٣٩، إذ نزل شواطئ البلطيق جماعات من «الترك — التتر» الذين دفعتهم أمامها الموجة المغولية. ثم جاء من الشرق ومن الجنوب عبر بحر البلطيق عن طريق بولندة جموع من الأتراك العثمانيين، نزل بعضهم بولندة واستقر فيها والبعض الآخر ركب البحر إلى الشمال واستقر في استونيا ولتوانيا ولتفيا وفنلندة. وكان مجيء هذه الجموع على دفعات. ولا شك أن بعض هؤلاء كانوا من الأتراك العثمانيين الذين أسروا في الحروب التي شنها الأتراك على أواسط أوربا وعلى جنوب بولندة (التوران في مجرى التاريخ — ج ٣ المقدمة ص Lxxv وما بعدها وكذا بارولد في مبحثه السابق الذكر)

ومن هنا يتبين قيمة رد الدكتور بشر من الحقيقة. هذا إلى أن أصل اشتقاق مدينة turkü الفنلندية يعود إلى مادة ترك كما تحقق هذا معنا من مراجعة مادة (ترك) من أعمال معهد التاريخ التركي (السلسلة الأولى — المجلد ٤ ج ٣ ص ١١٧ — ١١٨)

٤ — قلنا إن الدكتور بشر فارس لم يتعمق في بحثه، وكان آية ذلك عندنا أنه يقول: إن لغة التعليم عندهم هي التركية وحروف هجائهم هي الحروف اللاتينية التركية التي وضعت وشاعت بأمر أتاتورك (ص ٢٤) وهو يستدل بهذا على أنهم صرفوا هواهم عن روسية الجنوبية (ص ٢٣) لأننا نعرف أن هنالك ضربين من الهجاء اللاتيني للغة التركية، الأول يتخذه أتراك الاتحاد السوفيتي والثاني يتخذه أتراك الجمهورية التركية. وهنالك من الفروق بين الضربين ما يجب تفرقة بعضها عن بعض. وقلنا في ردنا عليه: «وفي إمكان الباحث بمراجعة هذه الفروق أن يدلي برأي نهائي في الموضوع» فحرف الدكتور بشر كلامنا فقال: «إنني أخذت عليه عدم التثبت في بحثه لأنه لم يقرر أن الحروف التي يستخدمها هؤلاء المسلمون في فنلندة، ليست هي تلك الحروف التي توافق عليها أتراك الاتحاد السوفيتي» وأين هذا الكلام من كلامي؟!

إن الكماليين استعملوا الهجاء اللاتيني في ٣ نوفمبر عام ١٩٢٩ (أنظر Armstrong في Gray Wolf ص ٢٨٨ سطر ٢٤ من Appendix وأتراك الاتحاد السوفيتي اتخذوا الهجاء اللاتيني في مؤتمر باكو عام ١٩٢٤، ثم حدث بعض الخلاف سوّه في مؤتمر تفليس عام ١٩٢٥ ومصطفى كمال اعتمد على الهجاء اللاتيني الفرنسي في وضعه الهجاء اللاتيني التركي، وإن نظر لنظام أتراك الاتحاد السوفيتي

ولا زلت أنا عند رأيي الأول أنه كان في مستطاع الدكتور بشر أن يرجع لنظام الهجاء اللاتيني لهؤلاء المسلمين، ويقارنه بما يقابله عند أتراك الاتحاد السوفيتي ثم أتراك الجمهورية التركية وبذلك يدلي برأي نهائي في الموضوع. أما القول بأنهم أخبروه بذلك، فهو من اجتلاب القول، فضلاً عن أنه موضع نظر حتى يمكن الجزم في نظام أحرف الهجاء اللاتيني التي يستخدمونها في الكتابة

وإذا كان عند الدكتور بشر فارس نماذج من كتاباتهم فليبعث إلى بواحد منها، وأنا ضمين بأن أقطع الشك في هذه المسألة بحكم درايتي بهذه الدقائق نتيجة تقلبي في بيئات تركيا والاتحاد السوفيتي ردحاً من الزمان

بقيت بعض ملاحظات على الجملة التي دار حولها النقاش من مبحث الدكتور بشر فارس، من ذلك أنه استدل من أن لغة

التعليم عند هؤلاء المسلمين الفنلنديين هى التركية بأنهم صرفوا هواهم عن روسية الجنوبية (ص ٢٣ من كتابه) ولست أعرف ما موضع روسية الجنوبية فى هذا التعبير ؛ لأن هؤلاء إن كانوا من الترك الضاربين فيما وراء جبال أورال فلا صلة لهم إذن بروسية الجنوبية (القرم وقازان وأكرانيا) ، وإن كانوا من الجنوب من روسية فلا معنى للقول بأنهم من الترك الضاربين فيما وراء جبال أورال ... والذى عندى أن هذا الخلط نتيجة تفسيرات شخصية من الدكتور بشر فلم يحدثوه بأنهم من وراء جبال أورال ، وإنما الدكتور بشر قد استنتجه خطأ ، لعله أن « الترك — التتر » أسلافهم من هذه المناطق . وعلى هذا يتسق الأمر فى استطلاع الدكتور بشر لشؤون هذه الجماعة المسلمة فى أقصى الشمال. أما القول بصرف الهوى عن روسيا الجنوبية ... فهو الأصل الذى يكشف عن فكرة الاستنتاج فى قول بشر أنهم من « الأتراك — التتر » الضاربين فيما وراء جبال أورال ... !

٥ — قلنا فى نقدنا لكتاب مباحث عربية : « إن استعمال لفظ (السلوك) لأحد مشتقات المصدر الفرنسى وهو moralité تارة ولفظ « الأخلاقيات » لمشتق آخر لنفس المصدر (وهو morale) تارة أخرى يوقع فى اللبس والاختلاط » . فكتب الدكتور بشر : « والردّ أن الناقد لم يدرك الفرق بين اللفظتين الفرنسيتين : morale et moralité ، فالأول يدل على أعمال المرء من الناحية الأخلاقية ، والثانى يفيد علم الأخلاق » . والمغالطة فى ردّ صاحبنا الدكتور بشر واضحة ، لأن الأصل فى نقدنا أن استعمال لفظ السلوك والاخلاقيات لمشتقين وهما morale et moralité من مصدر واحد هو mores فى اللاتينية يوقع فى اللبس . واللازم أن يشتق من المادة العربية التى تقابل mores مصدران ينظران إلى اللفظين الفرنسيين والأول يأتى عندى آدابا والآخر أدبيات ، ففى الأول مفهوم السلوك conduite من حيث هو قاعدة (أو منهج) régle وفى الآخر مفهوم السلوك conduite من حيث هو مبدأ (Principe) . وبين الاثنين من الفارق ما لاحظه الدكتور بشر فارس

٦ — قلنا : « إن فى تعبير الدكتور بشر أن للفظة الشرف مفادات متجاورة تارة ، متباينة أخرى » قصوراً لا تستقيم معه الجملة إلا إذا أبدل فيها لفظة المتجاورة بالمتشابهة لأنها أدل على المعنى وأكثر اتساقاً فى الجملة من حيث أن التجاور فى تعبيره يفيد افرنجياً synonyme وواضح أن synonyme هذا يعنى :

١ — الألفاظ المفردة الدالة على معنى واحد (مترادف)

٢ — الألفاظ المفردة الدالة على معنى متشابه (أو متقارب)

وإذن يكون معنى synonyme يؤديه فى العربية الفصحى كل من لفظتى المترادف أو المتشابه (المتقارب) وذلك حسب استعماله . والتعبير الذى استعمل فيه الدكتور بشر لفظة متجاورة سياقها تفيد التقارب أو التشابه . والدكتور بشر يريد هذا ، لأن المتباين يقابله المترادف من الجهة الأخرى ويقف بينهما المتشابه والمتقارب . وهذه مسألة لا تحتاج إلى ذلك العلم الدقيق بمفردات اللغة كما يهول صاحبنا فى رده . وليس جعلنا المتشابهة نظيرة synonyme إفرنجياً بدليل قصور فى العلم باللغة . لأن المتشابهة والمتباينة من الألفاظ التى تنظر إلى synonyme . وليست اللفظة الإفرنجية مقادها قاصراً على المترادفة عربياً . ونحن إن كنا وقفنا فى ردنا عليه عند المشابهة (الوجه الثانى من مفاد اللفظة) فذلك لأنها هى المقصودة فى العبارة ، والسياقة تدل عليها ، وما دام الأمر كذلك فأى ضرورة تلجئنا إلى الكلام عن المترادف أو المترادفة من الألفاظ ؟

على أن محاولة بشر تخريج الموضوع بقوله : إنه يعنى بالمفادات المتجاورة voisines فى الإفرنجية فلا معنى لها ولا محل ، لأن المفادات لا تتجاور ولكن تتشابه (أو تتقارب) وتتباين وترادف لأن التجاور يغلبها الجانب الحسى والمفادات يغلب عليها الجانب المعنوى . أما أن المتجاورة من تعبيره تنظر إلى voisines فرنسياً فليس ذلك بدليل يلزم أن يكون التعبير فيه لفظ التجاور . لأن التعبير فى العربية وليس فى اللغة الفرنسية ، ولكل لغة أحكامها وأصولها . وأظن أننى لست بذلك الشخص الذى يعطى للدكتور بشر درساً فى هذا ، فهو أدرى منا فى هذا بحكم كونه ابن اللغة العربية ، ولكن قل هى الشكلية أفسدت عليه النظر

(لها بقية)

اسماعيل أحمد أدهم

معهد التناسليات
معهد التناسليات تأسيس الدكتور ماجنوس لتعيين شغله فرع القاهرة بعمارة روفيه نمرة ٤٦ شارع الرابغ تليفون ٥٢٥٧٨ يعالج جميع أمراض الزهريات والأمراض والشرايين التناسلية والعقم عند الرجال والنساء وتعيين الشاب والشيخوخة المبكرة. يعالج بصفة خاصة: تربية الساعة طبقاً لأحدث الطرق العلمية والعيادة من ١٠-١٢ ومن ٥-٦ ملاحظة: يمكن اعطاء نتائج بالمراسلة للمصريين بمصر والقاهرة بعد أن يجيبوا على مجموعة الأسئلة التى ترسل لهم مجانا على ١٤١ سؤالا التى يجب أن يكون الجواب عليها بنظير ٥ قروش